من نوابغ الكتاب الاتراك

هاليكارناس بالكجي سي ١٨٨٦-١٩٧٣

احسان الملائكة

٣-٢

كان من اسياد استانبول، ومن مشهوري الكتاب والصحفيين وفجأة يجد نفسه وحيداً ملقى في هذا الموضع النائي المعزول. وقد خيل اليه في بادئ الامر انهم سيغلقون عليه ابواب القلعة ويعودون ادراجهم تاركين اياه لقدره! لكن كم كانت دهشته كبيرة حين وجد القلعة مجرد خرابة من دون ابواب ولا شبابيك، بل بدون غرف اصلاً! من الليلة الاولى من وصوله اليها عثر على دار قريبة ذات اربع غرف استأجرها بخمسة وعشرين قرشاً لمدة ثلاثة اشهر! كانت الدار تطل على البحر مباشرة وفي ساعة متأخرة من الليل استيقظ مذعورا على صوت انفجار كثيف، لكنه عرف بعد ذلك ان عدداً من المهربين ارادوا تضليل شرطة الكمارك بالتفجير من اجل تسهيل احدى عمليات التهريب، بعد دقائق تحرك في الظلال ضوء صغير خاطف فانشرح قلب جواد شاكر حين اكتشف انها الحشرة المضيئة جاءت لتؤنس وحدته.

وسرعان ما يندمج بالكجي في حياة أهل بودروم ويبدأ فوراً بالعمل من اجل الاستفادة من وجوده في هذا المكان الغريب، ويشرع بدراسة تربة المدينة وتاريخها ونباتاتها وحيواناتها فيجمع اصناف البذور، ويقوم بزرع واستصلاح التربة وحده في اغلب الاحيان، وبمساعدة بعض اهالي البلدة احياناً اخرى.

كانت مدة محكومية بالكجي ثلاث سنين، وبعد ان قضى نصف المدة صدر قرار محكمة الاستقلال بان يقضي النصف الباقي منها في استانبول، وقد اثار ذلك استياءه فلقد ارتبط بمدينة بودروم (هاليكارناسوس) ارتباطاً روحياً ولم يعد سهلاً عليه مفارقتها، حين رجع الى استانبول ظل متلهفاً للرجوع الى جنته المفقودة، وحالما انتهت مدة محكوميته، لم ينس ان يجمع اصناف الثمار والبذور والشتلات ليزرعها في بودروم حال وصوله اليها. من جديد وخلال عقدين من الزمان استطاع بالكجي تحويل بلدة بودروم المهجورة بجهوده وحدها الى احدى افضل المدن السياحية في تركيا. كان يشتري كتباً زراعية في مختلف اللغات التي يحسنها: الانجليزية، والفرنسية، والايطالية، مقتطعاً اثمانها من لقمة طعامه كي يجعل من اراضي بودروم جنائن ساحرة تجتذب اليها السياح من كل انحاء العالم، على سبيل المثال كان بالكجي هو الذي انبت شجرة "جريب فروت" لاول مرة في الاراضي التركية!

منذ انتهاء فترة محكوميته لم يغادر بالكجي بودروم الا بعد ربع قرن من الزمان.

عند اول وصول بالكجي الى بودروم، كان يسلي نفسه بالتنزه وحيداً بين ارجائها "اما اهل البلدة المعزولة عن الحواضر المتمدنة فكانوا يجتمعون في اوقات الفراغ في مقهى حقير يلعبون النرد والطاولة، ومثل هذه الملاهي لا ترد على بال بالكجي وامثاله من المبدعين الذين يرون الوقت اغلى من كل مجوهرات العالم، كان يقضي نهاره ماشيا يتفحص التربة كأي عالم طبيعة، وقد حرص على غرس الاشجار الضخمة سريعة النمو كاليوكالبتوس والنخل، وكان يرعى اشجاره واحدة واحدة يسقيها ويشذب اغصانها ويكتب عنها في دفاتره سجلاً بتواريخ غرسها الخ، من ناحية اخرى وجد بالكجي في بودروم بغيته التي طالما التمسها أي التعرف الحقيقي على البحر، صديقه القديم، فكان يحرص على تقوية صلاته بصيادي السمك والاسفنج والتجارة ويعمل معهم، فأحبه هؤلاء وكان يحنو عليهم مثل اب شفيق ويعالجهم من الامراض بدلاً من الطبيب وبهذا اعتاد حياة البحر مثلهم وقد صنع لنفسه زورقاً قوياً يسمونه "يتغان" وكان يستعمله بنفسه متى شاء. ويتجلى عشق بالكجي للطبيعة في مؤلفاته كلها. يقول في احد تلك المؤلفات (انا احيا مع كل الكائنات التي تحيط بي، الطيور، امواج البحر، الاشجار، الحصى، الرمل، التربة، الناس.. انني جزء من كل ذلك" كان يحب الحيوانات حتى غير المفيدة بل الضارة منها ايضا.

كيف كان بالكجي يكسب عيشه؟ هنا يتجلى احد اطراف جوانب حياته واشدها غرابة، الوظائف الحكومية المخصصة لخريجي الجامعات لم تكن تثير اهتمامه، لذلك هبط الى الشارع يشارك العوام، اعمالهم العضلية المرهقة، فتراه مرة يبيع الفواكه، والاخرى يبيع الاسماك التي يصيدها بنفسه، وثالثة غطاساً يبحث عن الاسفنج في عمق البحر، اخيراً اختار المهنة التي سترافقه الى نهاية حياته، اذ اصبح مرشداً للسياح الاجانب، واثناء ذلك كان يواصل الكتابة والتأليف ونشرا لمقالات والبحوث في المجلات. وكان لبودروم اثر كبير في تكوين شخصيته، اذ تغيرت مفاهيمه عن الحياة والناس، ولم تعد للمقاييس المألوفة في المجتمع اية اهمية في نظره، فلا عجب ان تاخذ حياته مجاري او مسارات قد تبدو شاذة في نظر المجتمع. ومصنفاته كلها تلقي الضوء على خفايا شخصيته، لا سيما كتابه الشهير "المنفى الازرق" ويقصد به مدينة بوردروم.

حياة بالكجي الخاصة

من مجمل ما سبق من حديث لن يتوقع المرء ان تجري حياة بالكجي الخاصة لا سيما العاطفية منها، المجرى الطبيعي المعروف، كان انساناً قلقاً بالفطرة، فهو يتحمس لاشياء وامور لا تثير اهتمام غيره، كان الى ذلك يكره الجمود، ولا يعرف للاستقرار معنى وانعكست صفاته هذه في علاقاته بالنساء ففي سنة ١٩١٣ اقترن بفتاة ايطالية وولدت لهما بنت، عاشت ثم تزوجت واصبح لبالكجي منها حفيدة، تزوجت بمحام يعمل في الفاتيكان، هذا الزواج يسر لبالكجي الاقامة في ايطاليا واتقان الايطالية واللاتينية وبذلك استطاع الاطلاع بصورة عميقة على اداب هاتين اللغتين. من ناحية ثانية مكنته اقامته في ايطاليا من اشباع عشقه لفني الرسم والنحت، فاكتسب معرفة ممتازة بروائع الاثار الكلاسيكية المنتشرة في كل مدن ايطاليا.

وفي مرحلة اخرى من حياته اقام بالكجي علاقة عاطفية بفتاة اسبانية، وعاشا معاً فترة من الزمن، وانجبت المرأة ولداً عاش حتى شبت نار الحرب الاهلية في اسبانيا، فقتل فيها قبل ان يبلغ الثامنة عشرة من عمره.

وقبل نفي بالكجي الى بودروم كان متزوجاً بفتاة تركية اسمها "حمدية هانم" وانجبت منه بنتاً اسمها "سيناء" وكان زواجهما موفقاً، ولما صدر قرار نفيه الى بودروم رفضت حمدية هانم مرافقته الى المنفى، فاضطر الى تطليقها، وبقيت ابنتهما معها، واخيراً تزوج بالكجي بتركية اسمها "خديجة هانم" فانجبت له بنتين هما عصمت وعالية، وولدا اسمه سعاد، ولما اتم ابناؤهما الثلاثة دراستهم المتوسطة في بودروم اضطرت الاسرة الى النزوح من بودروم لعدم وجود مدرسة ثانوية فيها. واختار بالكجي مدينة ازمير لانها اقرب حاضرة كبيرة الى بودروم وتم الانتقال اليها سنة ١٩٤٧ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

وللمرة الثانية في حياته كان على بالكجي ان يبدأ من الصفر. فأزمير ليست بلدة مهجورة مثل بودروم، وانما هي مدينة سياحية مهمة مزدحمة بسكانها، مما يعني زيادة النفقات ووضعت في رأس بالكجي فكرة عجيبة، لماذا لا يقوم بمهمة مرشد او دليل سياحي للاجانب الكثيرين الذين يفدون الى ازمير، والى سواحل بحر ايجه للاطلاع على الآثار الاغريقية والبيزنطية المتوفرة في هذه المواضع وهو الذي قضى السنوات منهمكاً في دراسة هذه الاماكن دراسة دقيقة والتحق بالكجي بهذه الوظيفة ولم يتركها حتى وفاته، وفي الوقت عينه واصل عمله كمترجم مستفيداً من اللغات العدة التي يحسنها.

على ان الوظيفة لم تكن تهمه الا من اجل سد حاجاته المعيشية اما الذي كان يشغل باله فهو نشر ثمار دراساته الخاصة في هذا الميدان ذلك ان بالكجي توصل الى نظرية رائدة فحواها ان الحضارة الاغريقية في جانبها الفلسفي والعملي (المادي وليس الميتافيزيقي) انما نشأت وترعرعت في ارض غربي الاناضول (وهو ما كان يسمى في الماضي "ايونيا") على ضفاف بحر ايجه ومن هذه الاراضي انتقلت الحضارة الى اغريقيا (اليونان) في حين يؤكد علماء الغرب ان (اليونان) هي مهد الحضارة الغربية ومن رأيهم ان الحضارة انتقلت من اليونان الى ايونيا "الاناضول" عن طريق هجرة اليونانيين اليها، وانشائهم المستعمرات المدنية فيها، ولهذا يصر علماء الغرب على اهمال حضارة ايونيا ويشددون فقط على اهمية مدن اليونان وسكانها من الاغريق أي انهم ينسبون الحضارة الاغريقية الى اليونانيين وحدهم.

بينما يؤكد بالكجي ان اهم جانب في حضارة الاغريق، وهو الجانب العلمي المادي "المتمثل في فلسفة هيراقليطس" ابن مدينة "أفيس" في ازمير، انما نشأ وازدهر في الاناضول "ايونيا" وليس في اليونان،وبهذا فان حضارة ايونيا وعلمها وفلسفتها هي منابع حضارة اوربا والغرب.

من ثم فان بلاد الاناضول هي التي ينبغي ان تعد منبع العلم الحديث كله، وكل هذه الاراء مضادة تماماً لاستنتاجات المؤرخين الاوربيين المعاصرين.

اصبحت هذه المسألة الشغل الشاغل لبالكجي ، فكان مما كتبه حولها ما يلي: (لا! ليس هناك معجزة اغريقية العظمة هي عظمة اهل الاناضول القدامى، ابناء أيونيا فهنا، على ضفاف بحر ايجة ولدت الفلسفة الطبيعية العلمية ومن هذه الاراضي هاجرت الى اليونان.. والدليل على ذلك ان الاغريق حينما تسلموا هذه الفلسفة العلمية، انحدروا بها الى الميتافزيقيا ، وتلك كانت مهمة سقراط ثم افلاطون ثم ارسطو.. وهل اكتفى الاغريق بهذا ؟ كلا بل سلموا علمهم الى (افلاطون) الذي انحدر بالفلسفة الى حضيض التهويمات الصوفية، والمفارقات اللغوية وبهذا وجهت الفكر العلمي المادي اليافع اكبر ضربة ، وتعطل التقدم الحضاري مدة الفي سنة.

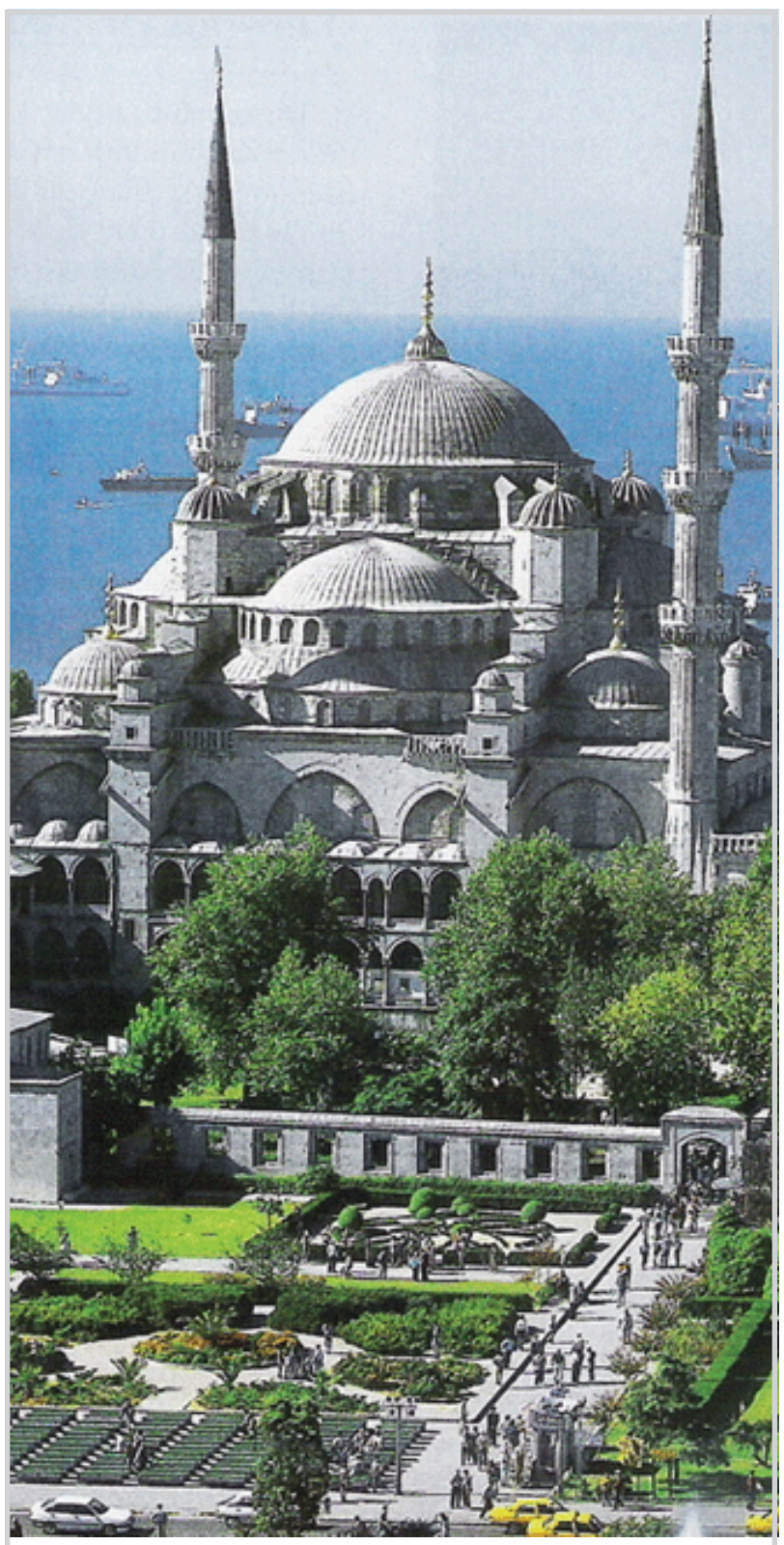

قصة قصيرة

مجتمع مدني

جمال ناجي

علاقتي بذلك الرجل لا تسمح لي بإطلاق صفة الصديق عليه ، برغم أننا نلتقي في الإجتماعات والصالونات والندوات .

هي علاقة غير مستقرة ، فأحيانا تكون سلسة مرشحة للتطور ، وغالبا ما ينتابها التوتر الذي يبلغ حدود المناكفة والضغينة ، في الأقل من جانبي .

قبل أيام ضمنا اجتماع عمل ، كنت في عجلة من أمري ، جلسنا حول الطاولة البيضاوية ، وكالعادة ابتسمنا لبعضنا .

تذكرت أنه أفصح لي ذات مرة عن إحساسه باستهدافي له في ما أقول وأفعل ، ولكي أبدد إحساسه ذاك . الذي لا يخلو من الصواب على أي حال . فقد عمدت إلى التحرش به مدعيا قلقي عليه ومجاملتي له .

قلت له على مسامع الجالسين حول الطاولة :

سلامتك ، ما سبب هذا الشحوب في وجهك ؟ هل أصحبك إلى الطبيب ؟

لم يكن وجهه شاحبا أبدا ، بل على العكس من ذلك ، كان في ذروة نشاطه وحيويته ! أما ما دعاني إلى استخدام هذه التقنية العقلية في التعامل معه حينئذ ، فهو رغبتي في خفض معنوياته التي كانت متأججة ، إضافة إلى محاولتي كسب وده ودعمه فكرتي التي أضفتها إلى جدول أعمال الإجتماع على شكل بند جديد ، في اللحظة الأخيرة .

تصرف وضيع . ما كان يجب أن أعامله على هذا النحو المشين .

أعرف هذا وأعترف به ، لكن ماذا أفعل ؟ فأنا بحاجة إلى من يؤازرني في تلك الجلسة ، ثم أن هذا النوع المجرب من التحرش المقرون بالمجاملة أثبت فاعليته غير مرة .

الغريب أن المجتمعين حول الطاولة أبدوا قلقهم عليه بعد أن سمعوا كلماتي !

نظر إلي بامتنان من وراء نظارتيه الطبيتين ، شكرني على اهتمامي به ، ثم تحدث بصوت هزيل عن سبب شحوبه ، برغم أن وجهه كان محمرا معافى !

قال انه أصيب بالإجهاد لأنه لم ينم منذ ثلاث ليال متعاقبة .

قلت في نفسي بجدل : إما أن تكون حيلتي قد انطلت عليه ، أو أنه بدأ يعاني شحوبا نفسيا ، وفي هذه الحالة أكون أصبت نقطة في أعماقه.

لكن غرابة أسباب أرقه التي ذكرها ، دعت الجالسين إلى الإصغاء إليه ، وهز رؤوسهم ورفع حواجبهم بين لحظة وأخرى استهجانا ! ولو لم أكن صاحب فكرة شحوبه الزائف ، لانتقلت إلي عدوى الإستهجان !

على أن أمرا آخر أثار الحيرة في نفسي ، إذ : هل انطلت عليهم أيضا كذبة الشحوب التي اخترعتها ؟ أم أنهم أرادوا مجاملته باستماعهم إليه ؟

في ما مضى ، كنت أظنه أكثر ذكاء ، لكنني هذه المرة أحسست بأنه غبي وتافه أيضا ، إذ لماذا اعتقد أنني مهتم بصحته إلى هذا الحد ؟ ثم ما شأن المجتمعين بكل ثرثراته عن نومه وصحوه وقلقه ؟

نفد صبري ، فأنا رئيس الجلسة ، وعلي تقع مسؤولية إدارتها بكفاءة .

قلت له :

المهم أن تنام جيدا ولا ترهق نفسك ، فالحياة قصيرة ولا تحتمل كل هذا التفكير.

ثم توجهت بحديثي إلى الجالسين :

لنبدأ إجتماعنا .

فنظر في وجهي كأنما يعاتبني ، لكنني لم أكترث .

حين انتهى الوقت المحدد للإجتماع ، نهض الجميع وغادروا القاعة على عجل ، تفحصت عينيه بارتياب فابتسم ، ثم ضحك فازداد احمرار وجهه ، بينما ازددت أنا انفعالا عندما خطرت لي تلك الفكرة التي شككتني بذكائي ، سألته مؤنبا :

ما الذي يضحكك ؟

فأجاب بصوت معافى ، مختلف عن ذاك الهزيل الذي استخدمه أثناء استغراقه في حديثه عن قلة النوم :

كلانا يعرف أن وجهي ليس شاحبا ، وأنك لست معنيا بصحتي .

قلت بنبرة اعتراف :

تقريبا ، لكن لماذا أسهبت في تلفيق الحكايات عن أرقك المزعوم ؟

فنزع نظارتيه عن عينيه بهدوء ، ثم قال وهو يمسح عدستيهما بمنديل أبيض :

كان يجب أن أعاقبك .

قلت :

تعاقبني ؟ كيف ولماذا ؟

فأجاب :

بالحديث المطول .

ثم تنهد دون أن يلتفت إلي :

كنت أظنك أكثر فطنة ، فقد انتهى وقت الإجتماع دون أن نبحث البند الذي أضفته أنت إلى جدول الأعمال .

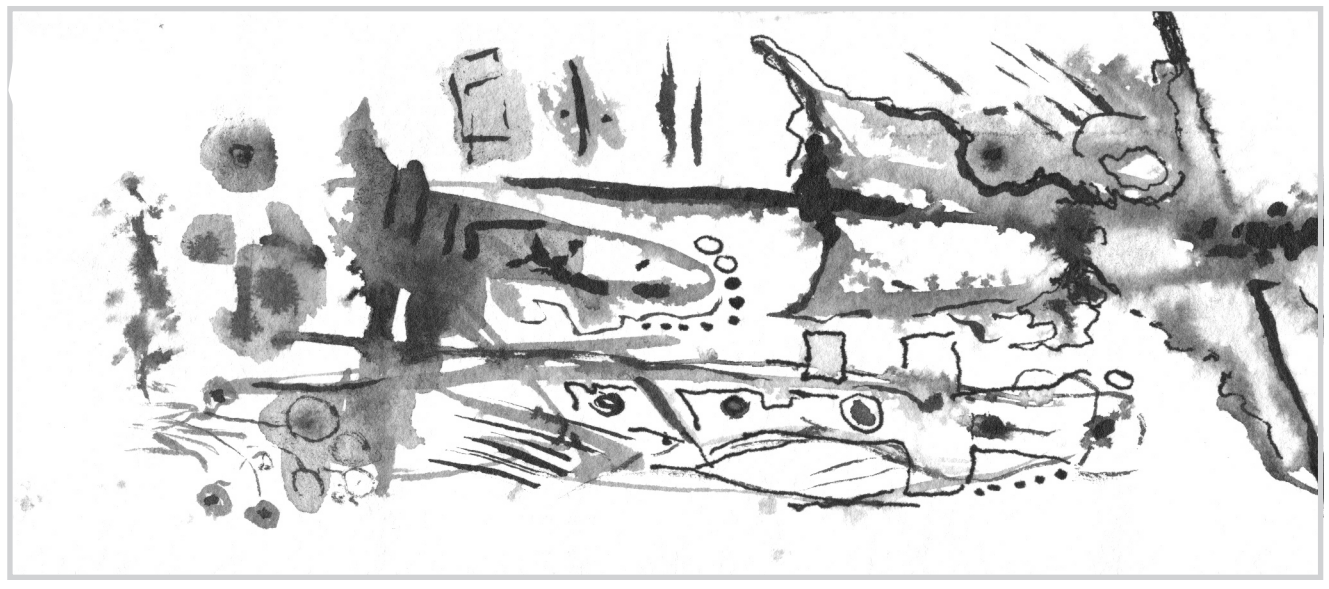

رأي

الدراما العراقية .. فرصة للاقتراب

عماد جاسم

على الرغم من مساحة الحرية الممنوحة لكتاب الدراما العراقية مع تعدد القنوات الفضائية. وغياب الرقابة على اختياراتهم ومواضيعهم وطروحاتهم. الا ان الغريب ندرة ما قدم للمشاهد العراقي المتعطش لدراما تحاكي معاناته وتدنو من يومياته، وظلت المسلسلات تسطح الهموم بكوميديا مبسطة احيانا او بنقد غير موضوعي بشكل مباشر فج يخلو من حرفية التناول.

وللاسف تسعى ادارات القنوات العراقية لشراء الدراما السورية والمصرية بمبالغ كبيرة وتحرم فرصة ظهور تجارب دراما عراقية على شاشتها.. معللة ذلك بقوة تاثير الاعمال العربية على المتلقي العراقي.

ولعل في ذلك قصور في الرؤية او تعمد الى تجاهل مواهب العاملين في الحقل الدرامي اذا ما اتيحت الفرص الانتاجية المناسبة. والظروف المثالية.

واعتقد ان انحسار الدراما العراقية يعود لاسباب تتعلق بتوجهات القنوات العراقية وادارتها غير المندفعة لاحتضان نصوص رصينة تخاطب العقلية العراقية بحرية متعقلة وتدنو من الحدث بالكشف والتحليل لا بالعرض السوداوي. كما عمد بعض المخرجين الى طرحه في بعض المسلسلات.

ضاعفت هذه الاعمال من حجم الهوة بين المتلقي والشاشة العراقية التي تعرض الدراما المحلية من خلال استخفافها بالمشاهد والاعتماد على الاثارة واللقطة السريعة بعيداً عن سياق تتابع الاحداث المنطقي او عمق التناول في الحوار ورسم الشخصيات.

وهناك ايضا اخطاء في اختيار مواقع التصوير والتشويه المعلن للشخصية العراقية فقد غابت الشخصيات الوطنية المتوازنة والساعية لتحقيق النجاح وكثرت في المقابل الشخصيات المعقدة والمهزومة والباحثة عن الانتقام والنزوات الانية.

اذن فقد ابتعدت هذه المسلسلات عن هدفها الحقيقي او حتى الجمالي بمحاكاتها الواقع وحملت اجندات لا علاقة لها بالفن.

وما زلنا نكرر ان الساحة الان مفتوحة لابراز ابداع درامي بما هو متاح من مناخ ملائم يتيح للمشتغل في حقل التأليف والاخراج التلفزيوني بان يترجم الانين اليومي والصراخ والاستغاثات بما يملك من ادوات تعبير ناضجة لا توقفه ممنوعات المسؤولين او مصدات أي نوع من الادارات لان المشاهد العراقي يرغب برؤية واضحة بلا رتوش دون استخفاف او تهويل يحتاج فقط الى لغة ترتقي به ولا تسخف اوجاعه.